الأسلوبية وعلم اللغة العام

*محمد ابوذر خليل

**سيدعمّارحيدرزيدى

Abstract

Arabs played a great role in the promotion of linguistics and stylistics. We have found a bulk of literature on linguistics and stylistics of Arabic Language.The first person who discussed the subject of linguistics was Abu-al-Aswad ad duwalli of the first century hijra died in 689 AD. After him Khalil Bin Ahmad Alfarahidi (100-170 Hijra) and his brilliant pupil, Sibveh (180ھ -797), Beside them, Abdul Fattah Usman bin Jinni (392ھ-1OO2م) made substantial contribution in the development of linguistics. A lot of work on linguistics produced by the Arab scholars who appeared in the next centuries.

Central point of Islamic learning is understanding of Quran, the holy book, revealed on the Prophet Muhammad PBUH in Arabic. With the extension of Islamic caliphate across the three continents, Asia, Africa, and Europe, a serious problem of understanding Arabic of Quran realized by the peoples of different races and languages came under the Muslim sway. Realization of this challenge led Muslim scholars to the creation of knowledge in the domains of linguistics and stylistics. Later days we found the apex of Western philosophy turned to the science of linguistics. They introduced many theories of language. This study is an attempt to acquaint the reader of Medieval Muslim contribution in the field of linguistics and stylistics.

Keywords: *Quran stylistics, linguistics, stylistics, Quranic language, Semantics, Phonetics.*

من المعلوم أنه كان للعرب دور كبير ومشهود فى تطوير الدراسات اللغوية على أسس علمية منذ القرن الأول الهجري،فقد ساهم رواد البحث اللغوي بدءاً بأبي الأسود الدؤلي (ت69ه-689م) ومروراً بالخليل بن أحمد الفراهيدي(100-170ه 718-787م) وتلميذه سيبويه(ت180ه-797م) وأبي الفتح عثمان بن جني(ت392ه-1002م) وغيرهم ممن ساهموا، ليس فى خدمة اللغة العربية فحسب، بل وفى تطوير البحث اللغوي ككل حيث أتو بنظريات دقيقة و دراسات وصفية، بدأ علماء الغرب فى اكتشاف بعضها بعد العلماء العرب المسلمين بأكثر من عشرة قرون.

*الأستاذ المشارك قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة بهاءالدين زكريا،ملتان

**الأستاذ المساعد قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة بهاءالدين زكريا،ملتان

ومن الملاحظ أن الدراسات اللغوية العربية منذ العصور المتأخرة قد انحسر فيها عنصر الإبداع والتجديد، فأصبح كثير من علمائنا يجترُّون ما أتى به الرواد الأوائل ويرددون ما قالوه دون إضافة تذكر هذا فى الوقت الذى نجد فيه التطور العلمي السريع الذى طرأ ويطرأ على الدراسات اللغوية فى الغرب، تلك الدراسات التي لم تأل جهدا في الإستفادة من كل معطيات التقنية الحديثة من أشعة سينية ومراسم مطياف وحاسبات آلية ومختبرات لغوية و صوتية.

وسنتناول فى دراستنا هذه الأسلوبية معناها ومفهومها، ومجالاتها الرئيسية واتجاهاتها؟ كما نبحث عن أنواعها وسماتها وعلاقتها بعلم اللغة الحديث.

الكلام فى أصل اللغة وفروعها

ولعل من الأنسب قبل الدخول إلى صلب الموضوع الحقيقي أن نلمس فكرة عن علم اللغة العام وما يضم من فروع أحدثها تطور الدراسات اللغوية فى العصر الحديث.

فعلم اللغة يتناول إبتداء البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية، وما دار حولها من فروض، وتخمينات، وأقاصيص، وذلك الفرع من الدراسة يسمى:(أصل اللغة) وكذلك البحوث المتعلقة بحياة اللغة، ونموها وتطورها، وانقسامها إلى لهجات وهجراتها، وشيخوختها، وانقراضها أو موتها، وذلك هو مبحث: (حياة اللغة) وقد يتفرع عن هذا الجانب:(علم اللهجات) كما يتصل به علم الإشتقاق التأريخي، وهو يبحث عن أصول الكلمات فى مختلف اللغات من الفصيلة الواحدة، فى إطار الدراسات المقارنة، وكل ذلك من علم اللغة التأريخي.

معنى اللغة فى المنظور اللغوي الحرفي

أما اللغة من الوجهة اللغوية الحرفية، ففى المعجم العربي:(واللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها: لغوة من لغا إذا تكلم، ويقال: لغى يلغى لغة، و لغا يلغو لغوًا تكلم، وزنتها:فُعْلَةٌ،لأن أصلها لُغْوَةٌ[1]

معنى اللغة من حيث الإشتقاق:

وأما كلمة (لغة) من الوجهة الإشتقاقية فيوجد فيها الخلاف الكبير، أهي عربية أم معربة؟ إننا لو رجعنا إلى مصادرنا القديمة وخاصة المعجمات التي بين أيدينا لوجدناهم يقولون: إن كلمة (لغة) عربية أصيلة فهي في رأى الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط، وابن جني صاحب الخصائص، وإمام الحرمين فى البرهان ولكن بعض المحدثين يتساءل فيقول: هل كلمة (لغة) مشتقة من هذا الفعل أو ذاك،أو أنها مأخوذة من اللهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق(لسان المزمار) وقد يعزز هذا الرأي أن الكلمتين متشابهتان فاللام مشتركة بينهما والهاء والغين من الحروف الحلق الذي يحل بعضها محل وأن اشتقاق لغة من(لغا) أو من (لغي) ليس جاريا

على قياس لغوي وهذا الرأي يعززه فوق ما تقدم ما نجده في كثير من اللغات الأخرى، وهو أن الكلمة الدالة على لغة تدل في الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم.

ففي العبرية تستعمل كلمة سافاة بمعنى لغة وبمعنى شفة، والشفة كما هو معلوم ومقرر من أعضاء النطق، والعبرية أخت العربية، وكذلك تستعمل اللغة العبرية كلمة(لاشون) بمعنى لسان ولغة أيضا، واللسان من أعضاء النطق.

وإذا تركنا اللغة العبرية إلى لغة أخرى من فصيلة أخرى غير سامية كا للغة الفارسية مثلا، لوجدنا أيضا أن الكلمة (زبان) بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضا، وكذلك في اللغة الإنجليزية أن كلمة(Tongue) تستعمل بمعنى لغة ولسان أيضا.

وهناك رأي مؤداه أن كلمة (لغة) ليست عربية أصيلة، بل إنها تعريب لكلمة (Logas) الإغريقية والتي تعني كلمة أو فكرة. ومما يؤيد هذا الرأي التشابه الكبير بين الكلمة العربية والكلمة الإغريقية، ويؤيده أيضا عدم ورود كلمة(لغة) بالمعنى المعروف لنا في القرآن الكريم، وإنما عبر عن اللغة بكلمة (لسان)، وكذلك لم ترد في الشعر الجاهلي أو الأدب العربي المأثور عن أدباء ما قبل الترجمة عن الإغريقية.

معنى اللغة في الإصطلاح:

فلقد اختلف العلماء في تعريف اللغة اختلافاً بينا طبعا لمناهج البحث التي يتبعونها. فمنهم من يعرفها على أساس عقلي أو نفسي، ومنهم من يعتمد في تعريفها على فكرة منطقية أو فلسفية، و منهم من يعقفها من ناحية وظيفتها في المجتمع وعلى أية حال فهناك أقوال كثيرة في معنى اللغة.

1.عند علماء النفس:

تسمى أية وسيلة للتعبير عما في النفس لغة، فاللغة عندهم:كل أداة تستعمل لنقل ما يخطر لشعور الإنسان إلى غيره. ولذا تنقسم اللغة في نظرهم إلى حركية وصوتية ورسمية وخطية. والصوتية: إما لفظية مقطية، وإما ساذجة ليست فيها مقاطع واضحة، فالحركة الدالة على القبول أو الرفض والإشارة باليد والرأس أو الجسم إلى معنى المعاني والصياح والبكاء، والموسيقى والرسم والتصوير والكلمات المنطوق بها أو المدونة كل هذه وما يشبها مما يستعمل لنقل خاطر من الخواطر إلى الغير يسمى لغة في الإصطلاح علماء النفس.

2.عند علماء المجتمع:

إن علماء المجتمع قد عرَّفوا اللغة بالنظر إلى وظيفتها في المجتمع، فاللغة عندهم: اللغة بنظام من رموز ملفوظة عرفية بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الإجتماعية المعينة[2]

3.عند علماء المنطق:

إن علماء المنطق يعقلون الأهمية على استعمال اللغة بوصفها وسيلة للتعبير عن الأفكار يقول أحد علماء المنطق: إن للغة ثلاث وظائف:

أ. كونها وسيلة للتوصيل، أى توصيل الرغبات والعواطف والأفكار وما شاكل ذلك.

ب. كونها مساعدا آليا للتفكير.

ج. كونها أداة للتسجيل والرجوع يعنى بذلك لغة الكتابة حين يكتب الإنسان ويدون أفكاره وآراءه ثم يرجع إليها وقت الحاجة[3]

4. عند الفلاسفة:

إن الفلاسفة يعرفون اللغة: بأنها استعمال رموز صوتية منظمة التعبير عن الأفكار ونقلها من شخص الآخر[4] كما عرفها القدماء بأن اللغة اصوات يعبربها كل قوم عن أغراضهم[5]

يمكننا أن نقول هذا قليل من كثير فى معنى اللغة وعلى أية حال فليس الغرض من اللغة عند الإنسان المثقف مقصوراً على نقل الأفكار إلى غيره فقط، بل إنها تتخذ وسيلة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال ومن ثم كان أتم تعريف للغة بمعناها الإصطلاحي هو: أنها صوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ويتخذونها أداة للفكر والفهم و تربية الذوق والخيال[6]

ويطلق لفظ (لغة) على تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق فى الإنسان معبرا بها عما يحس به من حاجات يريد بيانها والإيضاح عنها، فعرفها أبوالفتاح عثمان بن جني حين قال: أما حدها.أى اللغة فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم....[7]

وهكذا عرفها علماء نا القدامى كما عرفها ابن خلدون: اللغة ملكة فى اللسان و كذا الخط صناعة ملكتها فى اليد[8] واللغة خاصة من خواص الإنسان بها هو حيوان ناطق كما رأى ذلك فيلسوف العصر الحديث ديكارت[9]

فروع الدراسات اللغوية:

إن اللغة تتألف من عناصر متباينة، وأغراض دراستها متنوعة، ولذا توجد مباحث كثيرة ومتعددة فى مجال اللغة، وترجع أهم المباحث إلى الموضوعات التالية:

أصل اللغة (Origin of Language)

هو الكلام على أصل اللغة الإنسانية الأولى، كيف نشأت؟ أبطريق التوقيف والإلهام نشأت اللغة، أم بطريق المواضعة والإصطلاح، أم بطريق المحاكاة والتقليد أم بغير ذلك؟

فعلم اللغة يتناول ابتداء البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية، وما دار حولها من فروض و تخمينات وأقاصيص، وذلك الفرع من الدراسة يسمى(أصل اللغة:Origin of Language)[10] وأشار إلى هذا جرجى زيدان عند ذكره العلوم اللغوية فقال: الرابع وهو أسماها، يبحث عن كيفية توصل الإنسان إلى هذه الأصول وكيف نطق بها أولا[11]

2. المبحث الثاني:

يتعلق بحياة اللغة وما طرأ عليها من غنى أو فقر وسعة أو ضيق وعظمة أو ضعة، وتفرعها إلى لهجات. وأسباب هذا التفرع والتنوع والمستويات اللغوية: لغة مشتركة أو فصحى وعامية، والصواب والخطاء فى اللغة والبيئة اللغوية ومصادر المادة وما يتعلق بها من حيث الزمان والمكان.

3. المبحث الثالث:علم الأصوات(Phonetics)

هذا العلم يتعلق بدراسة الأصوات التي تكون الألفاظ اللغوية، ويسميه المحدثون من العرب باسم علم الأصوات، وكان القدماء يطلقون عليه(علم التجويد)

4.المبحث الرابع:علم الدلالة(Semantics)

هو دراسة اللغة من حيث المعنى وهو ما يسمى بعلم المعنى، ومهمة هذا العلم البحث فى المعاني ومشكلاتها والعلاقة بين الكلمة والمعنى، وتبدل المعنى وطرقه و قوانينه وأسبابه وحياة الكلمات والمراحل التي تمر بها من ولادة ونشأة وشباب و شيخوخة وموت. يقول فى هذا الصدد الدكتور عبد الصبور شاهين: أما دلالات هذه الأصوات فيتولاها بالدراسة علم خاص بها هو(علم الدلاله...)[12]

5. المبحث الخامس:علم الدلاله البنيوى(Structural Semantics)

وأغلب مباحث هذا العلم شبيهة بعلم النحو المعروف فهو يتهم ببناء الجملة والإشكال التي تأخذها العبارة في اللغة، ويبحث أيضا فى أشكال الجمل من شرطية وخبرية واستفهامية وموجبة ومنفية وتعجبية....ألخ

6.المبحث السادس:الأسلوبية/علم الأسلوب(Stylistics)

هذا العلم يبحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها من شعر ونثر وخطابة ومحادثة وكتابة ومسرح وقصة ومناظرة.....الخ

وينقسم هذا العلم إلى أربعة أقسام

أ. دراسة وصفية

ب. دراسة تأريخية

ت. دراسة مقارنة

ث. دراسة عامة

7.المبحث السابع:علم اللغة الإجتماعي:(Socio Linguistics)

يعتبر هذا العلم من البحوث الحديثة لعلم اللغة ويشتمل على اللغة ضمن مباحثه البحوث الإجتماعية والتى تهدف إلى بيان العلاقة بين المجتمع واللغة، بالمجتمع يؤثر فى اللغة بما يشمل من حضارة ونظم وبيئة جغرافية ومناخية. فالمجتمع الزراعي غير المجتمع الصناعي والمجتمع الذي يعيش على السواحل غير المجتمع الذي يعيش في الصحراء، فلكل نظم و تقاليد وعادات تؤثر تأثيراً مختلفاً في مختلف الظواهر اللغوية.

فيقول الدكتور عبد الصبور شاهين في هذا الصدد: وقد أضاف البحث الحديث عدة فروع أخرى لعلم اللغة، كالبحث الخاص بعلاقة الظواهر اللغوية بالظواهر الإجتماعية، وهو موضوع(علم الإجتماع اللغوى)[13]

8.المبحث الثامن:علم اللغة النفسي (Psycholinguistics)

من مباحث علم اللغة الحديثة البحوث النفسية التى تبين العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية من تفكير وخيال وتذكر...ألخ. فنفسية الشعوب ليست واحدة، فهذا مجتمع يعيش في بيئة غير مستقرة مما يؤثر في نفسية هذا الشعب وبالتالي تؤثر هذه الظواهر اللغوية المختلفة.

وقد زاد الدكتور عبد الصبور شاهين على هذه الأقسام قسم آخر قائلاً: وهناك البحث في علاقة الظواهر اللغوية بالمكان وهو علم اللغة الجغرافى(Geographic Linguistics) وهو يمثل الآن قسما رئيسيا من علم اللغة....[14]

وهكذا يذكر جرجى زيدان العلوم اللغوية فيقول: أما اللغات على العموم، فعلومها درجات متتاليات:

الأول: يبحث عن الفاظ اللغة من حيث بنائها ومشتقاتها وتركيبها واعرابها وأوجه استعمالها حقيقة أو مجازاً لمقاصد فى التعبير وهذا ما تعلمه المدارس فى أيامنا كالصرف والنحو والبيان..

الثاني: يبحث عن تاريخ تلك الألفاظ وتنوعها ودلالتها مع ما طرأ عليها من التغيير بتجريد بسيطها وحل مركبها وهذا ما ربما صحت تسميته(علم اللغة أو فلسفتها) وبموجبه ترد ألفاظ كل لغة إلى أصول أو موضوعات محصورة عدا بسيطة بناء...

الثالث: مقابلة هذه الأصول من لغات مختلفة و ردها إلى أصول قليلة مشتركة، وهذا ما يدعى بعلم"مقابلة اللغات...

الرابع: وهو أسماها، يبحث عن كيفية توصل الإنسان إلى هذه الأصول و كيف نطق بها أولاً[15]

كما أشار الدكتور مراد كامل إلى هذه العلوم اللغوية وفروعها القديمة والحديثة على هامش كتاب "الفلسفة اللغوية" قائلاً: مر تاريخ علم اللغة بأطوار مختلفة واهتم العلماء في كل طور من هذه الأطوار بالبحث

عن العلوم المختلفة التي تدخل فى نطاق علم اللغة وقد عد جرجى زيدان أربعة علوم نتيجة لما وصل اليه العلماء فى هذا الطور ثم جاء طور بعده عد العلوم اللغوية على الوجه الآتي:

أ. علم الصوت

ب. علم الدلالة: ويشمل علم المفردات، وعلم الأساليب، والقواعد وتشمل علم البنية، وعلم التنظيم ويشمل كل من علم الأساليب والبنيه والتنظيم ثلاثة علوم: التعليمى والتاريخى والمقارن.

ج. أصول الكلمات (ومنه أسماء الأعلام والأماكن)

د. حياة اللغة:(ومنها علم اللهجات)

ه. علم النفس اللغوي

و. علم الإجتماع اللغوي

ز. نشأة اللغة وأكثر العلماء رأى أن يخرجه من العلوم اللغوية ويلحقه بالبحوث الفلسفية وعلم ماوراء الطبيعة.

أما الطور الأخير فقد عد العلوم اللغوية على الوجه الآتي:

أ. علم الصوت

ب. علم المفردات: البحث فى أجزاء الكلام الدخيل والمولد، علم البنية، علم الدلالة(المعنى والحياة الكلمة)

ج. انشاء الجملة (علم التنظيم) البحث فى مجموعة الكلمات والجملة، ترتيب الألفاظ، أنواع الجملة، علم التنظيم المنطقي والنفسي.

د. طرق التعبير(علم الأساليب) اللغة والأسلوب، درجات الأسلوب، الاخراج، النبر، تناسق الأصوات ونشاذها، قيمة الكلمة الصيغ، قيمة التكوين، الأسلوب والبلاغة سيكولوجية التعبير التصنع، الجمال

ه. تكوين اللغة(الدخيل، محاكمات الصوت، المولد) عناصر التكوين، تسرب الكلمات، تغير الأصوات، تغير الصيغ، تغير المعاني، تطور البنية، تطور التنظيم، عوامل التطور، دور الأدب، تطور الأسلوب، حياة الكلام

و. تطوراللغة(علم النحو الوصفي ،قواعداللغة أثرالتقليد والمنطق التأريخي الإشتقاق، ميلاد الكلمات)

ز. قرابة اللغات (علم النحو المقارن): التشابه بين اللغات

ح. طبيعة اللغة وقوانينها (علم النحو العام) وحدة القرابة اللغوية أنواع اللغات(التحليلية والوصلية والعازلة والصقية والمتصرفة) المبادئ التي يقوم عليها علم النحو العام. القوانين والإتجاهات- انتظام القوانين

الصوتية- دور القوانين الأولية في النفس، توارد الخواطر والقياس، عمل العادة، عمل الحياة في المجتمع، الإتجاه إلى اللغات المشتركة، دور الدخيل، حدود التوحيد، الإتجاه إلى الإختلاف، التعبير الخاص، التعبير المحلى، حياة اللغات، أصل الكلام.

ط. العلوم المساعدة لعلم اللغة(العلوم التأريخية وفقه اللغة): صلة علم اللغة بالعلوم التأريخية، فقه اللغة، الكتابة، الابجدية، تعويض، لغة التخاطب، النصوص المنقوشة، النصوص الأدبية، تأريخ الكتابة، نقد النصوص، التأريخ الأدبى، الأوزان الشعرية، دور الشعر، اللغة الأدبية ولغة التخاطب(17)

الأسلوبية وعلاقتها بعلم اللغة الحديث:

يعد علم الأسلوب/الأسلوبية، فرعاً تطبيقيا لعلم اللغة الحديث، فإذا هو جزء من علم اللغة كان يجب على الباحث في مجالات اللغة أن يقوم بتحليل نظريته إلى عناصرها المختلفة فيجعل أسلوب النصوص الأدبية تطبيقا جزئياً لمقولة أسلوبية عامة، وحينئذ تعتمد النظرية الأسلوبية على علاقة النظام اللغوي العام بمفهوم (دى سوسير) بأسلوب نص معين كمظهر للكلام، ويتعين عليها أن توضح بعض التصورات الهامة في الأدب مثل أسلوب مؤلف معين أو جنس أدبي بأكمله وما يعترية من تطور أو تغيير على ممر العصور.

ويوضح علماء الأسلوبية طبيعة العلاقة المتوازية بين مستويات المجالات اللغوية والأسلوبية بالنموذج التالي:

علم اللغة النظري.....النظرية الأسلوبية

علم اللغة التطبيقي.....البحث الأسلوبي

منطقة التطبيق.....التحليل الأسلوبي(18)

وإذا كان علم اللغة الحديث قد ميز بوضوح بين جانبين يمثلان الثنائية اللغوية،هما: النظام والإستعمال، ووضح (دى سوسير) الفرق بين اللغة كنظام يشتمل على الواحدات والأبنية والعناصر بوظائفها و دلالاتها وبين مستوى الكلام الذي يقوم فيه المتحدثون أو الكاتبون باستخدام هذا النظام والإختيار منه والتنفيذ الفردي لبعض إمكاناته، فإن علم الأسلوب يفيد هذا التمييز.

وقد جاء علم النحو التوليدي ليضع ثنائية قرينة من ذلك تتقابل فيها الكفاءة والإختصاص مع الممارسة والفعل. ويؤثر معظم الدارسين إرجاع مقولة الأسلوب إلى التنفيذ الفردي للغة، أى: إلى مجال الكلام والممارسة وإن لم يخل هذا الحل من بعض المشكلات.

إذن فالأسلوبية هي منهج نقدي لساني تقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية لاستخلاص أهم العناصر المكونة لأدبية الأدب إذ تجعل منطلقها الأساس النص الأدبي أى أن الأسلوبية تنطلق من النص لتصب في النص أو كما يقال قراءة النص ذاته.

الأسلوبية:معناها ومفهومها فى منظورعلم اللغة الحديث

هذه الكلمة أسلوب(Style) اشتقت فى اللغات الأوروبية من الأصل اللاتينى(Stylus) معناه "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية دالاً على المخطوطات ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية

أما في اللغة العربية: فالأسلوب فى قول ابن منظور فى لسان العرب يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب:الطريق، والوجه والمذهب[19]

أما مايتعلق بالمفهوم الدلالي الإصطلاحي فيرجع إلى ابن خلدون في التراث العربي.. على تأخّره..الذى يقول في مقدمته عن الأسلوب.

إنه عبارة عن المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب أي النحو ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتركيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص[20]

وعند عبد القاهر جرجانى،الأسلوب: هو الضرب من النظم[21] ولعل التعريف الشهير الذي قدمه الكونت بوفون(Kont Buffon) فى خطابه عن الأسلوب قائلاً: إن المعارف والوقائع، والاكتشافات تتلاشى بسهولة وقد تنتقل من شخص لآخر ويكتبها من هم أدنى مهارة فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير[22]

وبمعنى آخر الأسلوب: طريقة الشاعر أو الكاتب في التعبير عما يختلج في ذاته من عواطف وأفكار وبكلمة أخرى: إنه السمة التي تغلب على نتاج الأديب و تميزه عن نتاج غيره من أهل القلم.

ومن أشهر ما قيل في حقيقة الأسلوب ما قاله بوفون(Buffon): " Le Style est homememe" يعنى: الأسلوب هو الإنسان نفسه[23] وبالاختصار فان اللغة تعبر والأسلوب يبرز أو يقال: إن الأسلوبية هي دراسة علمية للنقد الأدبي[24] ومفهوم الأسلوب عند(بالي):

وإن كان العرب ذوى حسٍّ نقدي وكانت لهم جهود في مجال النقد لكن اليونان أسبق من العرب في هذا الحقل القيّم: فهم السابقون إلى معرفة كثير من قضايا النقد وإرساء قواعده وثمة علاقة وثيقة بين الأسلوبية والنقد.

وإذا فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي وشقه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية اكتشف أنه يقوم على ركحٍ ثلاثي دعائمة هي المخاطب والمخاطب والخطاب، وليس من نظرية فى تحديد الأسلوب إلا والدعائم الثلاثة[25] والدعائم الثلاثة ويمكن تحديد علم الأسلوب على النحو التالي:

1.الأسلوب من ناحية المنشئ:

تبدأ علمية الإنشاء عند المنشئ بوجود مثيرات أو انفعالات أو محركات سواء كانت داخلية تابعة من ذاته أم خارجية من البيئة المحيطة به، هذه المثيرات تتحول إلى أفكار ومعان في ذهن صاحبها ثم تترجم إلى عبارات لفظية التي تمثل أسلوب المنشئ.

ويعنى ذلك أن كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته،فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب فكل منشئ - من حيث هو الإنسان - يختلف عن اقرانه المنشئين بما يتم به من سمات ذهنية وفكرية وانفعالية.

2.الأسلوب من ناحية النّص:

ويرجع هذا المفهوم إلى اللغوي السويسري فردينان دى سويسر(Ferdinand De Saussure) الذي أسس المدرسة الوصفية في العلوم اللغوية وفرّق بين وضع اللغة الكائنة في طيات معاجمها ووضعها حين تخرج إلى مجال الاستخدام.

وقد قامت هذه المدرسة على أساس ما يمكن أن نسمّية بالثنائية اللغوية وهي ثنائية تقسم النظام اللغوي إلى مستويين:

مستوى اللغة(Langue)

مستوى الخطاب(Speech)

وإذا كان النظام اللغوي ينقسم قسمين: اللغة والخطاب فان الخطاب يشتمل على مستويين من الاستخدام.

أولهما: الاستخدام العادي أو النفعي

وثانيهما:الاستخدام الأدبي أو الفنّي

والفرق بينهما أن الخطاب العادي يعتمد على المباشرة والخطاب الأدبي يصدر عن ملكة عند منشئه وهو يخاطب الوجدان. ويعنى ذلك أنه في داخل ثنائية النظام اللغوي التي أوردها (دى سويسر) توجد ثنائية أخرى متفرغة عنها:

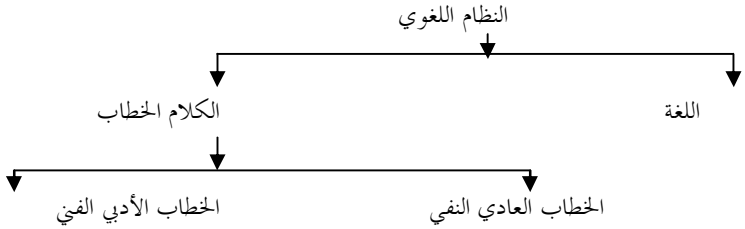

3. الأسلوب من ناحية المتلقى

ويقوم هذا المنظور على أساس أن كل منشئ يعبر عن ذاته ولا يكتب لها فإنشاءه تابع من نفسه وليس موجها إليها فإنه لا بد من متلق يستقبل النص الأدبي، فالمتلقى يمثل البعد الثالث في العلمية الإبلاغية فكما لا يوجد النص بلا منشئ، كذلك ليس ثمة إفهام أو تأثير أو توصيل بلا قارئٍ فهو الحكم على الجودة أو الرداءة وهو الفيصل فى قبول النص أو رفضه[26]

أصول الأسلوبية:

الأسلوبية نوع من النقد يعتمد فى دراسة النص على لغته التي يتشكل منها كما يقال:

"Stylistics is an attempt to put criticism on a scientific basis"[27]

أما أصول الأسلوبية فيرجع إلى أصلين:

أ. النحو

ب. البلاغة

اتجاهات الأسلوبية:

الأسلوبية تتحدد فى ثلاثة مجالات رئيسية:

أ. الأسلوبية النظرية(Theoretical Stylistics)الأسلوبية النظرية تهدف إلى إرساء القواعد النظرية التي ينطلق منها الناقد الأسلوبي في تحليل النص.

ب. الأسلوبية التطبيقية(Applied Stylistics) وهى تعرية النص الأدبي وإظهار خصائصه وسماته من حيث إنه شكل فني يبغى المنشئ عن طريقة التأثير والاقناع ومدخلها في التطبيق هو لغة الأثر الأدبي.

ت. الأسلوبية المقارنة(Comparative Stylistics) إنما تكون المقارنة في لغة واحدة وتقتضى حضور نصين فأكثر ولا بد من وجود عنصر أو عناصر اشتراك بين النصوص المقارنة كا لاشتراك فى المؤلف مع اختلاف الموضوع أو الغرض أو جنس الكتابة.

أنواع الأسلوبية

تنقسم الأسلوبية إلى أنواع تبعاً لمدارس النقدية منها:

الأسلوبية التعبيرية

الأسلوبية الأدبية

الأسلوبية الإجتماعية النفسية

الأسلوبية البنائية

سمات الأسلوب

بإمكاننا أن نوصف سمات الأسلوب بالإيجاز كالتالي:

أ. أن هذا العلم جسر بين الأدب وعلم اللغة أى: بين اللغة الطبيعية المأخوذة من أفواه الناس وبين اللغة الفنية.

ب. وإذا أخذنا باصطلاح (سوسير) فالممكن أن نقول: ان موضوع البحث في علم الأسلوب هو أنواع الأقوال ولا سيما النوع الفني أو الأنواع الفنية[28]

معايير الأسلوب:

فيما يلى نذكر بالإيجاز أهم معا يير الأسلوب:

1. أشكال الأسلوب: مثل النثر والشعر والتوفيقات أو التأليفات
2. أنماط الأسلوب: مثل الأسلوب المحاكي أو الخلاق أو القديم
3. مستويات الأسلوب: من رقي و هبوط أو عامية و جياد
4. أنواع الأسلوب: مثل أسلوب الكلام وأسلوب الكتابة
5. إيقاعات الأسلوب:مثل أسلوب المرح والآخر الغاضب أو الحزين
6. لغوية الأسلوب: مثل لغات إهل الحرف والصنائع أو الأقاليم[29]

الهوامش

1. لسان العرب:لابن منظور الإفريقي، مادة:لغو
2. لغتنا والحياة:دكتورة عائشة عبدالرحمن،ص131

3. مبادئ دروس المنطق:للأستاذ حفونز،ص17
4. الفلسفة اللغوية:ص29
5. المرجع السابق:ص19
6. فقه اللغة: للدكتور عبد الحميد محمد أبوسكين،ص14
7. الخصائص:لابن جني، ج1 ص33
8. مقدمة ابن خلدون،ج2 ص472
9. فقه اللغة: للدكتور عبد الحميد،ص6
10. في علم اللغة العام:دكتور عبدالصبور شاهين،ص102
11. الفلسفة اللغوية:جرجى زيدان،ص54
12. في علم اللغة العام،ص103
13. المرجع السابق:ص103
14. المرجع السابق:ص104
15. الفلسفة اللغوية:جرجى زيدان،ص54
16. المرجع السابق:ص54-55
17. علم الأسلوب:لدكتور صلاح فضل،ص99-101
18. Oxford Dictionary under the word “Style”
19. لسان العرب:مادة: سلب
20. مقدمة ابن خلدون:ص25
21. دلائل الإعجاز:لعبد القاهر الجرجاني،ص468
22. علم الأسلوب،ص72
23. موقع(ظلال الأدبية)WWW.s3s3s.com./vb/shouthread.php?t5729
24. علم الأسلوب،75
25. الأسلوبية والأسلوب:لعبدالسلام المسدى،ص57
26. الأسلوبية:لفتح الله أحمد سليمان،ص13-22

27. Essays in modern stylistics by Donald c freemen, New York, P:53
28. الأسلوب والأسلوبية: المسدى،ص273
29. المرجع السابق،ص274

مصادر البحث و مراجعه

1. الأسلوب والأسلوبية: لدكتور عبد السلام المسدي، تونس 1977
2. الإقتراح في علم أصول النحو:لأبي بكر جلال الدين السيوطي، دار المعارف النظامية، ط أولى، حيدرآباد (بدون)
3. الإنصاف في مسائل الخلاف: لأبي سعيد الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان (بدون)
4. الأسلوبية: لفتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر (بدون)
5. الأسلوب والأسلوبية(Google)
6. التفكير اللغوي بين القديم والجديد: لدكتور كمال بشر، دار الثقافة العربية، السيدة زينب، مصر (بدون)
7. الخصائص:لأبي جني تح: محمد على النجار، ط الثالثة، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة 1976
8. علم الأسلوب(مبادئ و إجراءته): لدكتور صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية، القاهرة، 1985م
9. اللسانيات و أسسها المعرفية: لدكتور عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، 1988م
10. مناهج علم اللغة: لبريجيتة بارتشت، تر: د. سعيد حسن بجيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط الأولى، القاهرة، مصر 2004م
11. موسوعة علم اللغة العربية: لأميل بديع يعقوب، دارالكتب العلمية، ط الأولى، بيروت، لبنان،2006م
12. لسان العرب:لابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، الهيئة المصرية للثقافة، القاهرة،مصر،1971م